■■ مقدمة

تحتل حرب فلسطين أهمية خاصة فى وجدان الشعب العربى؛ لأنها الحرب التى نتج عنها قيام الكيان الصهيونى على جزء عزيز من الأراضى العربية ، وهى دولة فلسطين ، ذلك الكيان الذى غرسته القوى الاستعمارية فى قلب المنطقة العربية من أجل تفتيتها وإضعافها ، وإعاقة نهضتها، فالدول الاستعمارية تعلم أن العالم العربى غنى بالثروات الطبيعية والعناصر البشرية والعقول المثقفة القادرة على النهوض به فى سنوات قليلة ، كما أن العالم العربى يمتلك كثيراً من عوامل الوحدة مثل وحدة الدين واللغة والتراث الإسلامى، ولعل تجربة « محمد على » باشا فى مصر كانت خير برهان على ذلك، ففى غضون سنوات قليلة استطاع «محمد على » تكوين إمبراطورية مصرية، واشتركت الدول الاستعمارية جميعها من أجل الوقوف أمام طموحاته وتوسعاته؛ لذلك سعت الدول الاستعمارية إلى إضعاف العالم العربى عن طريق وجود هذا الكيان الذى يسعى إلى التوسع وبسط سيطرته الاقتصادية والعسكرية على حساب دول المنطقة وتقوم بتقديم الدعم المادى والعسكرى له، من أجل ضمان إضعاف الدول العربية وعدم تفرغها لتحقيق استقرارها ونهضتها .

وقد خاضت الشعوب العربية العديد من الحروب ضد هذا الكيان الذى يحمى المصالح الاستعمارية فى المنطقة العربية، وفقد العرب خيرة أبنائهم ومناطق غالية من أراضيهم فى خضم هذه الحروب، ودولة فلسطين لها أهمية خاصة بين الدول العربية،سواء من الناحية الدينية أو من الناحية الجغرافية أو من الناحية الاقتصادية.

فمن الناحية الدينية تحتوى فلسطين على الأماكن المقدسة للديانات السماوية

الثلاث (اليهودية / المسيحية / الإسلام) فهى بمثابة مهد الديانات السماوية.

ومن الناحية الجغرافية تحتل فلسطين موقعاً مهما واستراتيجياً بين قارات العالم الثلاث (آسيا / أفريقيا / أوروبا) وتمر بها أهم الطرق التجارية بين هذه القارات ، كما أنها قريبة من قناة السويس أهم الطرق الملاحية فى العالم ؛ لذلك أصبحت فلسطين مطمعاً للدول الاستعمارية، وفيها قرر الصهاينة إنشاء دولة إسرائيل.

وعلى الرغم من دخول قوات تمثل الدول العربية فى الحرب ضد العصابات الصهيونية (الهاجاناه / اتسل / ليحى) والمتطوعين اليهود الآخرين من جميع دول العالم ، إلا أن النصر كان حليف هذه العصابات الصهيونية بسبب عدم التنسيق بين الدول العربيةوالخلافات العميقة التى كانت تعانى منها الدول العربية، وأيضاً بسبب التحيز الغربى للكيان الصهيونى وإمداده بالأسلحة والمعدات والكوادر العسكرية التى قامت بتكوين الجيش الإسرائيلى وتدريبه ، وكانت الهزيمة من نصيب الدول العربية، واستطاع الصهاينة السيطرة على أراضى أضافتها لمساحة الأراضى التى خصصتها لها الأمم المتحدة عندما أصدرت قرار التقسيم، وهو الأمر الذى يحثنا إلى دراسة هذه الحرب جيداً، وكشف أسرار هذه الحرب وماحدث فيها من تقصير حتى نستخلص العبر والدروس ، ولاتتكرر مآسى هذه الحرب مرة أخرى، والرواية محل الدراسة هى رواية للأديب الإسرائيلى« رام أورين » الذى بدأ نجمه فى السطوع فى الأوساط الأدبية الإسرائيلية ، وهى قصة تاريخية تحكى دور الجيش المصرى خلال حرب فلسطين، كما سردت تفاصيل عن أحوال الجالية اليهودية فى مصر فى فترة ما قبل قيام الحرب .

تدور أحداث الرواية حول أحداث دخول الجيش المصرى إلى أرض فلسطين من أجل مقاومة الدولة الصهيونية الوليدة ،ويسرد المؤلف أوضاع الحكم فى مصر فى هذه الحقبة ، ويتحدث عن حياة الملك « فاروق » حاكم مصر فى هذه الفترة ومولده وزواجه ،أظهرت الرواية الملك « فاروق » بأنه رجل فاسد لاهم له سوى

إرضاء رغباته من المأكل والمشرب والجنس ، وأنه كانت له عشيقات كثيرة،من بينهم امرأة يهودية تدعى « ليلى كوهين » ، وقد ركزت الرواية على دور الجاسوسة اليهودية «يولندا هرمر» فى التجسس على مصر لصالح إسرائيل ، وعلى اهتمام « بن جوريون » بها ومدحه لها ، كما أشارت الرواية أنها كانت على علاقة بالقصر الملكى ، كما ألقت الرواية الضوء على أحوال الجالية اليهودية فى مصر فى هذه الفترة ، وعن روح التسامح التى سادت المجتمع المصرى وطوائفه المختلفة بغض النظر عن الديانة ، ومشاركة المصريين لليهود فى أفراحهم وأعيادهم .

أظهرت الرواية تدخل الإنجليز فى شئون مصر الداخلية وسيطرتهم الكاملة على أمور الحكم ، وخضوع الملك « فاروق » لهم ، كما أظهرت رغبة الملك «فاروق» فى أن يكون خليفة للمسلمين ، وأنه اتخذ قراراً منفرداً من أجل خوض الحرب،على الرغم من معارضة قادة الجيش الذين أعلنوا أن الجيش غير مستعد لخوض الحرب فى هذه الفترة.

أظهرت الرواية دور الطائفة اليهودية فى تدعيم الحركة الصهيونية ، وقيام اليهود بالتجسس على أحوال الحكومة والشعب المصرى لصالح إسرائيل،مما حث الحكومة المصرية على القيام بحملة اعتقالات للعديد من أعضاء الوكالة اليهودية فى مصر، كما تظهر الرواية محمد نجيب فى صورة القائد الحريص على حياة جنوده،فى حين أن جمال عبد الناصر وباقى الضباط الأحرار كان همهم الأكبر هو القيام بانقلاب وتغيير نظام الحكم .

أظهرت الرواية بعض الانتصارات التى قام بها الجيش المصرى أثناء الحرب ، مثل الاستيلاء على مستوطنتى يد (موردخاى/ نيتسانيم).

أظهرت الرواية أن العصابات الصهيونية كانت تعانى من نقص شديد فى المعدات والأسلحة ، وأن « جولدا مائير » قامت بدور كبير فى جمع التبرعات وحشد التأييد لدولة إسرائيل ، ودائما مايستغل الصهاينة أحداث الكارثة النازية

من أجل استدرار العطف العالمى، وجمع الأموال وحشد التأييد لصالح إسرائيل .

كما أظهرت الرواية الدور المحورى الذى قامت به الولايات المتحدة والدول الغربية فى تدعيم ومد إسرائيل بالأسلحة والمعدات التى كان لها أثر كبير فى قلب موازين الحرب وترجيح كفة إسرائيل .

كما تحدثت الرواية عن الخلافات بين الدول العربية ، وعدم التنسيق بينها ، التى كانت سبباً رئيسياً فى هزيمة القوات العربية، وفى نهاية الرواية أظهرت نتائج حرب فلسطين التى أدت إلى قيام الضباط الأحرار بثورة يوليو التى نتج عنها رحيل الملك « فاروق » عن مصر، وتغيير نظام الحكم فى مصر .

وقد أخرج الأديب الإسرائيلى«رام أورين»هذه الرواية عام ٢٠٠٤ أى بعد قيام إسرائيل بـ٥٦ عاماً ، وفى نفس الوقت بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية (٢٠٠١) بثلاث سنوات، وفيها يذكر المؤلف بالدور الذى قامت به الحكومة المصرية فى حرب فلسطين ويشير أن هدف الجيش المصرى كان دخول مدينة تل أبيب،أى استئصال القوة اليهودية فى مهدها والقضاء عليها،فهو يرسل رسالة إلى اليهود بأن مصر هى الخطر الأكبر الذى يهدد إسرائيل،ويريد أن يحذرهم من استمرار وجود هذا الخطر بالرغم من معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، وهو بذلك يقوم بربط الماضى بالحاضر من أجل تذكير الأجيال الشابة التى لم تعش حرب فلسطين بالدور الذى لعبته مصر فى الماضى من أجل تدمير اليهود وربطه بما يحدث فى الحاضر ، حتى يستفيد اليهود من دروس الماضى ويأخذوا حذرهم.